والاسرائيلية السياسية / الارضية . وبحلول عام ١٩٦٨ كنت قد اصبحت معتادا على المواجهات مع المدافعين عن الصهيونية واسرائيل . ففي ذلك التاريخ كان قد مضى على مواجهتي لهم ربع قرن . ولكن الجمهور في ليدن لن يكون — كما افترضت — ميالا الى الموافقة مع السياسة الصهيونية / الاسرائيلية فحسب ، بل مستعدا ايضا لان يتلو علي — من الذاكرة وفي معركة « نصوص ثابتة » — اية نصوص توراتية من سفر التكوين الى سفر الاخبار ؛ وانا لم أجد قط اي دافع او منطق لان احفظ غيبا مجموعة متنوعة واحيانا متضاربة من الايات التوراتية .

وعلى الرغم من هواجسي اقتنعت اخيرا بقبول الدعوة . وقد تم تسجيل كل ما قلته . وكل ما تدعو الحاجة الى قوله لتوضيح ما أعنيه هو ان عرضي كان خلاصة تاريخية ، تحليلية ، منتظمة للتفكير النبوي في اليهودية . وجادلت بأقصى ما استطيع من قوة وبلاغة — مدعوما بالنصوص المطابقة — قائلا ان هذه الرؤية المجدة والشاملة لعلاقة الله بالانسان لا يمكن تشويهها ، بأي معنى منطقي صحيح ، وتحويلها الى دعم حقيقي لحركة الصهيونية القومية ، القبلية ، المنغلقة والتمييزية وللدولة الصهيونية التي فرختها في الشرق الاوسط .

وقد اثّرت المحاضرة في الجمهور ، حتى وان لم تهده الى التفكير السليم . وشجعتني بعض ردود الفعل الفردية على الاعتقاد بأنني قد عززت بعض الشكوك ، وقال بضعة اشخاص كانوا قبل محاضرتي يتفقون معي سياسيا، انني قدمت تفاسير تزود سياستهم **ببعض** السلطة النصية .

كان هناك شاب يهودي بين الجمهور . وخلال فترة الاسئلة بعد المحاضرة نهض ليقول ما معناه : لا يمكنني ان اختلف مع اختيارك للمصادر ولا ، يقينا ، مع تفسيراتك لتلك الاختيارات . لكن بعضا منا قد مل ملاحقة مثاليات الانبياء في وجه وحشية معظم العالم . وفي الصهيونية نرى الامل في قوة مضادة وفي اسرائيل نرى منذ الآن (وكان هذا بعد عام ١٩٦٧) كيف ان استخدام هذه القوة في الوقت المناسب يكسب لنا احترام العالم .

لم يكن هذا سؤالا ولكنه لم يكن ايضا نوعا من الخطب الهستيرية والافترائية المشوهة للسمعة التي طالما تعرض لها الكثيرون منا نحن الذين خضنا الحملات الاعلامية على يد المدافعين عن الصهيونية . لكن تعليق الشاب أوضح النزاع الممكن — وحتى المرجح في كثير من الاحيان — بين « الوعي » و« الضمير » . فان « خصمي » في ليدن لم يعد يرغب في الاصغاء الى ضميره . لقد افترضت من موافقته الضمنية على جدلي أو قبوله له ان « الضمير اليهودي » قد وخز . واذا كان بامكان بقية العالم ان تعامل الكثيرين من اليهود معاملة عديمة الضمير كما فعلت ، فهذا الشاب يشعر بأن ثمة ما يسوغ له الرد بالمثل . وبلا ضمير — مستجيبا للوعي فقط — لم يعد يكترث لحقيقة ان « العرب » لم يكونوا هم الذين بدأوا الحلقة المفرغة للقوة المستجيبة للقوة. فهو ، ببساطة ، لم يكن يرغب في ان يسمع عن « الضمير اليهودي » ، وكان هذا بحد ذاته اختيارا عديم الضمير . وفي العالم كما رآه كان النجاح العملي — في ذلك الحين — لسياسات استخدام القوة والتوسع في الاراضي التي انتهجتها الصهيونية واسرائيل قد سهل له اختيار الصمم الاخلاقي عديم الضمير هذا .